

لِلرَّسُولِ حَقُّهُ الطَّبِيعِيُّ فِي أَنْ يَتَخَلَّى عَمَّنْ شَاءَ مِنْ نِسَائِهِ بِالْإِرْجَاءِ تَخْلِيًّا لَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ ضَرَرٌ لَهَا، وَلَا ضِيَاعُ هَيْبَةٍ وَكَرَامَةٍ، وَأَنْ يَحْتَفِظَ بِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ بِالْإِيْوَاءِ.

وَبَيَّنَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حِكْمَةَ تَشْرِيعِ هَذَا الْحُكْمِ، فَقَالَتْ: " ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ، وَإِنَّ يَعْلَمَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَكَانَ إِيَّاكُمْ عَلِيمًا حَلِيمًا ".

فَفَهَمْنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حِكْمَةَ التَّشْرِيعِ هِيَ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ هُوَ أَقْرَبُ الْأَحْكَامِ إِلَى تَحْقِيقِ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ:

- 1 - قَرَارُ أَعْيُنِ الْأُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.
- 2 - عَدَمُ حَزْنِهِنَّ.
- 3 - رِضَاهُنَّ كُلَّهُنَّ بِمَا آتَاهُنَّ الرَّسُولُ.
- 4 - مِرَاعَاةُ شَأْنِ الْقُلُوبِ وَمِيُولِهَا الطَّبِيعِيَّةِ.

أَمَّا قَرَارُ أَعْيُنِهِنَّ رِضَى إِيَّا عَنْهُنَّ، فَبِأَنَّهُنَّ قَدْ سَكَنَ إِلَى جَنَاحِ الزَّوْجِيَّةِ الْأَعْظَمِ، وَأَعْطَيْنَ مَا بِهِ يَكُونُ الْقَرَارُ وَالطَّمَأْنِينَةُ، وَأَصْلُ الْقَرَارِ فِي اللُّغَةِ السُّكُونُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْعَيْنُ تَطْمَئِنُّ وَتَسْتَقِرُّ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى مَا يَعْجِبُ وَمَا يُوَافِقُ؛ قِيلَ لِلْمَرْءِ حِينَ يَنَالُ مَا يَطْمَئِنُّهُ وَيَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ - قَرَّتْ عَيْنُهُ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَقْرَأُ عَيْنَهُ - "؛ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قَرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ (1) " . أَيْ إِلَيْهِ نَطْمَئِنُّ وَبِهِ تَسْتَقِرُّ نَفُوسُنَا وَتَسْكُنُ أَعْيُنُنَا مِنَ التَّطَلُّعِ إِلَى الْوَلَدِ، " رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قَرَّةَ عَيْنٍ (2) "، " كَيْ تَقْرَأَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ (3) "، فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا (4) "، كُلُّ ذَلِكَ بِمَعْنَى قَرَارِ الْحَالِ، وَاسْتِشْعَارِ رَاحَةِ النَّفْسِ، وَهَدْوِ الْبَالِ.

وَأَمَّا عَدَمُ حَزْنِهِنَّ - عَلَيْهِنَّ رِضْوَانُ إِيَّا - فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يُؤْوِيهَا الرَّسُولُ صَلَوَاتُ إِيَّا وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَاضِحٌ، وَبِالنِّسْبَةِ لَغَيْرِهَا مِمَّنْ تَرَجَّى وَتَوَخَّرَ أَنَّهَا حِينَ تَوَازَنَ بَيْنَ

(1) الْآيَةُ 9 مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ.

(2) الْآيَةُ 74 مِنْ سُورَةِ الْفِرْقَانِ.

(3) الْآيَةُ 40 مِنْ سُورَةِ طه.

(4) الْآيَةُ 26 مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ.